# الخطب المنبرية

# الظالمون في التوبة

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الخُطْبَةُ الأُولَى

إِنَّ الحَمْد لله، نَحمده ونستعينه ونستغفره، ونَعُوذُ بالله من شرور أنفسنا ومِن سَيِّئات أعمالِنا، مَنْ يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بعدُ:

فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ: كتابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْي: هَدْيُ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَرَّ الأمورِ: مُحدَثاتُها، وكُلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيُّها المؤمنون!

اتَّقوا الله وكونوا مع الصَّادقين؛ فإنَّ تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خيرُ مُعِينٍ لكم في إدراك مطلُوبِكم في الأُولى والآخرة.

وَاعْلَموا - رَحمكم الله - أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَعَلَنا في هذه الدُّنيا وابتلانا بالخَلْق فيها لعِبادته - سُبحانه -؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذَّاريات].

**ومَدار هذه العِبادة:** فِعلُ الحسنات، وتَرْكُ السَّيِّئات؛ فالعبدُ مأمورٌ بحسنةٍ يفعَلُها، وسَيِّئةٍ يترُكُها.

ومَقامُه مِن عبادة رَبِّه على قَدْرِ حَظِّه مِن فِعْل الحسنات وتَرْك السَّيِّئات.

ولَمَّا كان العبد مجبولًا على الظُّلم والجهل - كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢] -، كان مِن المَقْطُوع به: أَنْ يَقَعَ في تَرْكِ شيءٍ من الحسنات، وفِعْل شيءٍ من السَّيِّئات، ويُسَمَّى ذلك (ذَنْبًا)، وهو مُلازِمٌ لجِبِلَّتنا وطبيعتِنا؛ قال الله تعالى في الحديث الإلهيِّ: «**يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**»(١).

ولَمَّا كان الوقوع في الذَّنب - بتَرْك فِعْل الحسنة، أو فِعْل السَّيِّئة - مُنافِرًا

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٥٧٧)، مِن حديث أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عِبادةَ الله عَزَّوَجَلَّ، مُباينًا لها = اقتضى ذلك تَنبيهَ العِبادِ بالرُّجوع إلى رَبِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فأُمِروا بالتَّوبة مِن ذنوبِهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النُّور:٣١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[التَّحريم:٨].

فمِمَّا يفتقِرُ إليه العبد في كُلِّ حِينٍ وآنٍ: أَنْ يَتُوب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولَمَّا كان مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو قُدوتَنا العُظْمى، فإنَّ مِن هَدْيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإكثارَ من التَّوبة والاستغفارِ؛ فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[(١)].

فانظروا - رَحِمكم الله - خَبَرَه الصَّادقَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نفسِه، المَبْدُوءَ بقَسَمِه بالله عَزَّوَجَلَّ أَنَّه يتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويستغفِرُه في اليوم أكثرَ من سبعين مَرَّةً.

وهذه حالُ الطَّاهر المُطَهَّر، الَّذي غَفَر الله له ما تَقَدَّم مِن ذنبه وما تَأَخَّر؛ فما الحَرِيُّ بأحوالِنا الَّتي لا نَنْفَكُّ فيها عن مُواقعة كثيرٍ من الذُّنوب؛ بِتَرْك شيءٍ من الحسنات، أو فِعْل شيءٍ من السَّيِّئات؟!

فَحَرِيٌّ بنا أَنْ نُلازِمَ التَّوبةَ إلى الله، وأَنْ نستغفِرَه أكثرَ وأكثرَ مِن سبعين مَرَّةً.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٣٠٧)، مِن حديث أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

**وتَتَحقَّق تلك التَّوبة:**

- ✓ بتَرْك الذُّنوبِ الَّتي نقع فيها، والمبادرة إلى الإقلاع عنها.
- ✓ وانكسارِ قلب العبد ونَدَمِه على وقوع ذلك منه.
- ✓ وعَزْمِه على أَلَّا يَعُود إليه.

فإذا وُجِدَت هذه المعانِي في قلبِ أحدنا، كان تائبًا من الذَّنب.

فهو يَنْزِع عن الذَّنب الَّذي يقع فيه، ويُبادِر إلى تَرْكه، ثُمَّ يَتَحَسَّر في قلبه ويندَمُ على صُدور هذا الذَّنب منه - بِتَرْك تلك الحسنة، أو فِعْل تلك السَّيِّئة -، ثُمَّ يُجمِعُ العَزْمَ في قلبه على أَلَّا يرجِعَ إليه ما استطاعَ.

ولو قُدِّر أَنَّه رَجَع إليه، فإِنَّه يعود مَرَّةً أخرى إلى التَّوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإذا كانت الذُّنوب مُلازِمةً للجِبلَّة الإنسانِيَّة والطَّبيعة البَشَرِيَّة، فإِنَّه ينبغي أَنْ تكون التَّوبةُ مُلازمةً لنا أعظمَ وأعظم.

**وإِنَّ مِن كَيْدِ الشَّيطان:** أَنْ يَحُولَ بين العبد وبين التَّوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بإيهامِه بأَنَّه لا منفعةَ له مِن توبتِه بعدَ رجوعِه إلى ذنبِه؛ وذلكَ عدمُ معرفةٍ بالله عَزَّوَجَلَّ؛ فإِنَّ مِن أسمائه - سُبحانه -: التَّوَّابُ. **وحقيقة ذلك:** أَنَّه يتوب كثيرًا على مَنْ تاب.

فإذا أَذْنَبَ العبدُ، فتَاب: تَابَ الله عليه، وإذا رَجَع إلى الذَّنب، فتَاب: تَابَ الله عليه، وإذا رَجَع إلى الذَّنب، فتابَ: تَابَ الله عليه.

فمَنْ وقعت منه الذُّنوب - بتَرْك الحسنات، أو فِعْل السَّيِّئات - مَرَّةً بعد مَرَّةٍ؛ فإنَّه ينبغي أَنْ يرجعَ إلى التَّوبة مَرَّةً بعد مَرَّةٍ.

ولذلك؛ خَاطَبَ الله عَزَّوَجَلَّ بالتَّوبةِ عِبادَه بِاسمهم الأشرفِ الأعلى؛ وهو اسم (المؤمنين)؛ إذ قال في الآيات المُتَقَدِّمات: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور:٣١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

فلم يَقُلِ الله عَزَّوَجَلَّ: (أَيُّها المذنِبُون)، أو (أَيُّها المُسِيئون)، أو (أَيُّها المُخطِئُون)! لِئلَّا يَتَوَهَّم العبدُ أَنَّه بتلك التَّوبة يكون قد كَسَبَ نَقْصًا! وإنَّما خَاطَبَنا الله عَزَّوَجَلَّ باللَّقب الأعلى؛ لِحَثِّنا على لزوم التَّوبة، والرُّجوعِ إليها مَرَّةً بعد مَرَّةٍ؛ فإنَّ مَنْ تَابَ تَابَ الله عليه.

**وإنَّ مِمَّا يُدفَع به كَيْد الشَّيطانِ إذا وَقَع العبد في الذَّنب بعد توبتِه منه:** أَنْ يرجعَ مَرَّةً أخرى إلى التَّوبة إلى الله تعالى؛ فإنَّ الله يُحِبُّ عِبادَه التَّائِبين.

فتُوبوا إلى الله أَيُّها المؤمنون، يَتُبِ الله عليكم.

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ العظيم لي ولكم، فاستغفِرُوه؛ إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

# الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، ربِّ السَّماوات وربِّ الأرض ربِّ العرش العظيم، وأشهد ألَّا إلَه إلَّا الله هو الحَقُّ المُبين، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله صَلَّى الله عليه وعلى آله وصَحْبه أجمعين، وسَلَّمَ عليه وعليهم تسليمًا بالغًا إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

أيُّها المؤمنون!

إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمَرنا بالتَّوبة، وحَثَّنا عليها، وأخْبرنا عن حال نَبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه كان مُلازِمًا التَّوبة والاستغفارِ في قوله: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[1]، وقد تَحَبَّب الله إلينا بأمْرِنا بالتَّوبة لَمَّا خاطَبَنا باسْم (الإيمان) فقال: ﴿**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[النُّور:٣١]، وقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا**﴾[التَّحريم:٨].

ولَمَّا كانت الحال على هذا المَبْلَغِ؛ مِن تَحَبُّبِ الله عَزَّوَجَلَّ لعِباده بتوبتهم

---

(١) سبق تخريجه.

إليه، وأَمْرِهم بذلك، وكَوْنِ هَدْيِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُلازَمةَ التَّوبة = فإنَّ **مِن أعظم الذُّنوبِ الَّتي يَغْفَلُ الخَلْق عنها**: تَرْكَ التَّوبة مِن الذَّنب عَقِبَ الوقوع فيه؛ فإنَّ الوقوع في الذَّنب جِنايةٌ مِن العبد في حَقِّ رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وأعظم مِن هذه الجِناية**: أَلَّا يَتُوب العبد إلى رَبِّه.

ولذلك؛ قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

**فمِن أعظمِ الظُّلم**: أَنْ يترُكَ العبدُ التَّوبةَ مِن ذَنْبِه عَقِبَ وقوعِه منه.

فإذا وَقَعَ من الإنسان ذنبٌ؛ فإنَّه مأمورٌ بأَنْ يُبادِرَ إلى التَّوبة، مُقتدِيًا بأبيه آدمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فإنَّ آدمَ أَذْنَبَ، فَنَدِمَ، فتاب؛ فَتَابَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه.

فإذا وَقَع أحدُنا في الذَّنب - وكُلُّنا ذُو ذَنْبٍ -، فإنَّه ينبغي أَنْ يُعاجِل بالتَّوبة إلى الله، وأَنْ يَحْذَرَ مِن تَرْك التَّوبة؛ فإنَّ تلك الحالَ حالُ ظُلمٍ شديدٍ، وَبَّخ الله عَزَّوَجَلَّ أهلَهَا وذَمَّهم، ونَسَبهم إلى الظُّلم في قولِه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

**وأعظمُ مِن هذه الحال**: حالٌ رديئةٌ، تَسْتَشْري في النَّاسِ بِأَخَرةٍ؛ وهي أَنَّك تجد أحدهم يُجادِل عن الذُّنوب والخطايا بالأهواء والآراء والأذواق؛ فتجِدُه يفعل المعصيةَ ويُدافع عنها! ويتعلَّق تارةً بقَوْلٍ شَاذٍّ، أو خلافٍ غيرِ مُعتبَرٍ.

وإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَذَّرنا مِن تَرْك أَمْرِه؛ وذلك بعدم الرُّجوع إلى دينه وإلى ما جاء به نَبِيُّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإنَّه لم يزلْ مِن طبيعة النَّاس وقوعُ الخلاف بينهم، وليس في وقوع الخلاف حُجَّةٌ.

فليس مِن الأَدِلَّة المُعتبَرة: أَنْ يذكر أحدٌ بأَنَّ هذه المسألةَ مُخْتَلَفٌ فيها؛ فإنَّ الخلاف طبيعة البَشَرِ. أَوَلَا تعلمون أَنَّ البَشر قدِ اختلفوا في أعظم موجودٍ، وهو رَبُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! فمنهم مَنْ يقول: إنَّ للخَلْق إلهٌ، ومنهم مَنْ يقول: إنَّه ليس للخَلْق إلهٌ!

ولذلك؛ فقد جَعَلَ الله عَزَّوَجَلَّ لنَا سَبِيلًا سَوِيًّا، وصِراطًا مستقيمًا فيما نَتَنازَع فيه؛ فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّساء:٥٩]؛ فأُمِرْنا عند حُدُوث الخِلافَات ووقوعِ النِّزاعَات بالرَّدِّ إلى الله في كتابه، وإلى رسولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنَّته.

ثُمَّ أَخْبَرَ عن شَرْطِ ذلك؛ بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النِّساء:٥٩]؛ فإنَّ المؤمنين بالله، القاطِعين بأَنَّهم يرجعون إليه، وأَنَّهم يُحاسِبُهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما كانوا يفعلون: يخَافُون الوقوفَ بين يَدي الله، ويُعَظِّمُون رَبَّهم حَقَّ تعظيمه؛ فإنَّهم حينئذٍ يَتَمَسَّكون بالرَّدِّ إلى الله وإلى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِمَا لِذلك مِن عاقبةٍ حميدةٍ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّساء:٥٩]؛ أي هي الحال الفُضْلى الَّتي يَحْسُن بِها المآل والعاقبة.

فَاحْذَروا - رَحمكم الله - من تصحيح فِعْل الذُّنوب والخطايا، والمجادلة عنها بمُجَرَّد وقوع الخلاف، أو الأقوالِ الشَّاذَّة.

ومَنْ لم يكن له عِلْمٌ فقد رَفَعَ الله عَزَّوَجَلَّ عنه الحَرَجَ؛ بقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحل:٤٣].

وأهلُ الذِّكْر لا يَخْفَون؛ ولذلك وَصَفهم الله عَزَّوَجَلَّ بأَنَّهم أهلُ الذِّكر؛ أي بأَنَّهم الذَّاكِرون لله عَزَّوَجَلَّ باتِّباع شَرْعه، والمعرفةِ بِدِينِه، المرفوعُ ذِكْرُهم بين النَّاس؛ ولذلك لا يَخْفَون.

فكما جَعَل الله عَزَّوَجَلَّ النُّبُوَّةَ ظاهرةً، وجَعَل لِبعثةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دلائلَ يُعرَف بِها كَوْنُه نَبِيًّا = فإِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يرفع الحَرَج عن الخَلْق؛ بأَنْ يجعل مِن وَرَثة الأنبياء - وَهُم العلماء - مَنْ يُمَيِّزُ بأَنَّه مَحَلٌّ لاستفتائِه، وأَنَّه ذو ثِقةٍ ومعرفةٍ بالدِّينِ الَّذي بَعَث الله به مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا خَرَج العبد مِن سَطوة الشَّهوة وسَطوة الشُّبهة، فإِنَّه حينئذٍ يعرف مَنْ يسأله في دين الله عَزَّوَجَلَّ ليُمَيِّز به بين الحلال والحرام.

فَاحْذَروا - رَحمكم الله - مِن تَرْك التَّوبة من الذُّنوب، واحذروا ثُمَّ احذروا أَنْ تُصَحِّحوا الذُّنوب، وتُجَادِلوا عنها، وَتَرَوْها حَقًّا وأَنْتم تعلمون أَنَّها باطلٌ، بمُجَرَّد أقوالٍ شَاذَّة أو خلافاتٍ غير مُعتبَرةٍ؛ فإِنَّ ذلك وَهَنٌ في العُبودِيَّة، وضَعْفٌ في الإيمان بالله واليوم الآخر.

اللَّهمَّ آتِ نُفُوسنا تَقواها، وزَكِّها أَنْت خَيْرُ مَنْ زَكَّاها، أنتَ وَلِيُّها ومولاها.

اللَّهمَّ إِنَّا نسألك الهُدى، والتُّقى، والعفافَ، والغِنَى.

اللَّهمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وارزقْنا اتِّباعه، وأَرِنا الباطل باطلًا وارزقْنَا اجتنابه.